

المناظرات في أدب الجاحظ - دراسة في المضمون - (كتاب البخلاء أنموذجاً)

المدرس الدكتور
حسين عبد حسين حمزة
كلية الاداب / جامعة الكوفة

المقدمة:

والتأليف فيها. ثقافة تأتت له من سعة اطلاعه ، ومحبته الكتب ورغبته الملحة في اقتنائها وقراءتها، أيا كانت تلك الكتب، حتى قال فيه أحدهم : ((لم أرقط ، ولا سمعت ، من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فانه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ما كان ،حتى انه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر))^(١) ، والمطالعة والإفادة مما خلفه أسلافه من علوم ومعارف .

لقد استطاع الجاحظ من خلال مؤلفاته المتنوعة، أن يظهر عبقرية فذة ، وذكاء نادرا، وفكرا متقدما،

لم يحظ أديب بمثل ما حظي به الجاحظ من الشهرة الواسعة، والمكانة الاجتماعية والفكرية والأدبية في بيئات الأدب المختلفة ، فقد ذاع صيته ، وعلا شأنه في حياته كما في مماته.

وظل اسمه ومؤلفاته مدار حديث الدارسين القدامى والمحدثين، ومحط إعجابهم، ينهلون من معارفه، ويوشحون كتبهم بأقواله التي تظهر ثقافته الموسوعية وشموليته، وغازة علمه، ورجاحة عقله، وإحاطته بعلوم عصره المختلفة،

يعيش فيه ((^(٦)، ويتأثر بمعطياته ومشكلاته ، ويتفاعل مع أفرادها بفئاته الاجتماعية المختلفة .

وبعد كتاب البخلاء من الكتب المهمة في آثار الجاحظ ، التي قامت على تصوير الواقع الاجتماعي المحيط به في البصرة وبغداد^(٧) ، ورصد سلوك بعض الطبقات الاجتماعية ، وأنماط تفكيرهم ، وتعاملهم مع الآخرين،^(٨) ، ولاسيما طبقة البخلاء التي برزت في تلك الحقبة^(٩) ، وتميزت بحب المال، والرغبة في جمعه؛ إذ ((لم تعد الحياة في الدولة الإسلامية بسيطة كما كانت في صدرها وبداياتها، لقد تطور المجتمع وتشعبت مناحي الحياة وتنوعت مطالبها، وبذلك غدا المال هدفا وغاية بذاته ((^(١٠) ، يسعى الجميع إلى استحصاله بشتى الوسائل والأساليب ، والحرص على تكديسه وعدم إنفاقه .

لقد وجه الجاحظ في كتابه نقدا لاذعا إلى هؤلاء البخلاء ، مسلطا الضوء على سلوكهم وأساليبهم في البخل ، وطرقهم في تنفيذه ، ومن ثم تعريف الناس بمساوئ البخل وسلبياته

فتحققت فيه بذلك سمة الأديب التي كانت تعني فيما تعنيه الأخذ من كل علم بطرف ، والتأليف فيه ، ((إذ لم يجد موضوعا إلا وبحته ، ولا بابا من أبواب المعرفة إلا وطرقه وولجه ((^(١١)، فأبدع فيه وأجاد، حتى بلغت كتبه من الشأو والشهرة والأهمية ما لم تبلغه كتب الآخرين؛ لما تميز به أسلوبه من سمات فنية، وخصائص أدبية ، ميزته من سواه من الأدباء^(١٢) .

ولعل الواقعية في الأدب من السمات التي كان الجاحظ سباقا إليها^(١٣)، فقد كان قلمه ((كريشة الرسام المبدع، الذي ينقل الواقع كما هو... ويحاكي مجتمعه بكل مستوياته وفئاته وشخصياته وأحداثه، وكان يعرض مساوئ هذا المجتمع ومحاسنه بكل صراحة ووضوح ، ودون تكلف أو مواربة أو خوف من الناس ((^(١٤)، إذ كان همه رصد الواقع المعيش، وتصويره بدقة وبراعة وصراحة ، إنسجاما مع شعوره من أن الأديب لا بد من أن ((يتخذ موقفا خاصا به سلبا أو إيجابا(مقبولا أو مرفوضا بنظر غيره) إزاء الواقع الاجتماعي الذي

الطرفين ، البخل والإسراف))^(١٣) ،
في التعامل مع المال ، وسبل إنفاقه .
ويبدو أن الجاحظ كان مدركاً أن
متلقي عصره كانوا متباينين في
مستوياتهم الفكرية والثقافية
، وطبقاتهم الاجتماعية ، فراح ينوع في
أسلوب عرضه للبخل والبخلاء ؛
ليجد كل قارئ ضالته في كتابه ، بما
يتناسب مع فهمه وإدراكه واهتمامه ،
وهو ما عبر عنه في مقدمة الكتاب ؛ إذ
بين أن القارئ قد يجد في كتابه ثلاثة
أشياء : تبين حجة طريفة ، أو تعرف
حيلة لطيفة ، أو استفادة نادرة عجيبة
، وأن هذا القارئ في ضحك منه إذا
شاء ، وفي لهو إذا ملّ الجد^(١٤) .

فقد يرى قارئ أنه كتاب في المناظرة
والاحتجاج والجدل ، وآخر يرى أنه
كتاب احتيال ودهاء ، وثالث يرى أنه
كتاب للضحك والترويح عن النفس .
كل ذلك قد تضمنه كتاب البخلاء
، بما انطوى عليه من أساليب أدبية
متنوعة ، ما بين قصص ورسائل
ونوادر وحكايات ومناظرات وإشعار
وغيرها .

، وأضراره الاجتماعية ، بوصفه
ظاهرة قد أخذت طريقها إلى الشيوخ
بين أفراد المجتمع ، مما يشير إلى ((
اضطراب القيم عند الإنسان ، حيث
بات يحسب للزمن ولمصائبه حساباً
، مما انعكس على شخصيته حرصاً
وبخلاً ، وانهيار قيم الكرم والجود
والعطاء التي تعتبر من القيم العربية
الأصيلة))^(١١) ، التي توارثها عن
أسلافه ، ونقلت جيلاً بعد جيل .

أي أن الجاحظ إنما أراد أن يلفت
النظر إلى الاضطراب الذي أصاب
قيم المجتمع العربي ، وانحرافه عن تلك
القيم ؛ بسبب اختلاطه مع الحضارات
الأخرى ، والتمازج معها ، مما كان له
الأثر المباشر في تغير نفوس الناس ،
وتبدل طبائعهم .

إن كتاب البخلاء يحمل في طياته
دعوة ضمنية إلى الكرم والجود ، ونبذ
البخل والتقتير^(١٢) ، وأن على الناس
((أن يستفيدوا من تفصيل أعمال
البخلاء ، فيلجأوا إلى الكرم من غير
إسراف ، وإلى الجود في الاقتصاد ،
وهكذا أراد (الجاحظ) أن يحذر من

إن الذي يعيننا هنا هو الحديث عن المناظرات التي تضمنها كتاب البخلاء ، وهي مناظرات واحتجاجات دارت بين الجاحظ وبخلاء عصره ، الذين راحوا يدافعون عن بخلهم ، ويحتجون لشحهم ، ويوردون الحجج والبراهين التي تدعم رأيهم .

التمهيد:

المناظرة لغة : من نظر إليه ينظر نظرا، إذا تأمل الشيء بالعين وفحصه ، أو تقلب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته ، والنظر البحث ، والمناظرة المباحثة والمباراة في النظر، وهي أن تناظر أخاك في أمر تنظر أنت وينظر هو فيه كيف تأتيانه ، مع استحضار كل ما يراه ببصيرته، وناظره بمعنى قابله وصار نظير له في المخاطبة^(١٥).

أما اصطلاحا : فهي ضرب من الكلام يشترك فيه اثنان في الأقل ، يتحاوران حول مسألة أو مجموعة مسائل علمية أو فلسفية أو أدبية ، فيدلي كل واحد منهما بحججه وبراهينه ، وأدلته العقلية والنقلية ، بهدف تدعيم رأيه ، والانتصار لأفكاره^(١٦)، مزخرفا قوله بالمنطق

والبرهان ، والفصاحة والبيان، وموشحه بثقافته ومعارفه واستدلالاته ، التي من شأنها تحقيق الغلبة والانتصار على الخصم ، والظفر به ، بتفنيد أقواله ، ودحض آرائه .

إن المناظرة لون أدبي ظهرت إرهاباته في الحضارة العربية قبل الإسلام ، فقد كانت مجالسهم ميدانا فسيحا لتلك المناظرات ، ولاسيما ما يتصل منها بزعامة القبيلة وقيادتها، ومحاولة كل شخص التفرد بها ، ثم أخذت هذه المناظرات تتطور شيئا فشيئا بعد نزول القرآن الكريم، ورده على الكفار وغيرهم من أهل الكتاب، الذين حاولوا المساس بالعقيدة الإسلامية ، من خلال ادعاءاتهم وافتراءاتهم المختلفة للرسول (ص) حول الروح والغيب، وغيرها من الأمور^(١٧)، فكان أن ردّ عليهم القرآن الكريم بأسلوب الاحتجاج والإفصاح عما يدحض دعواهم ، كما في قوله تعالى : ((ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا))^(١٨)، وقوله تعالى : ((وإن

كتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ((^(١٩) .

ثم أخذت هذه المناظرات تزدهر بازدهار النشاط العقلي والفكري ، ولاسيما بعد بروز علم الكلام ومباحثه المختلفة ، وظهور المذاهب الفقهية والنحوية واللغوية ، فقد كان ((للمتكلمين دور كبير في نشوء فن المناظرة بأسلوبه وطريقته الخاصة في طرح الموضوع والتوسع فيه ، من خلال المناظرات الطويلة التي كانوا يعقدونها))^(٢٠) ، ويعرضون فيها شتى الموضوعات ، حتى غدت المناظرة مقياسا لعلم العلماء ومدى إجادتهم فيها ، وتفننهم في أساليبها ، فهي وسيلتهم المهمة في نشر أفكارهم ومذاهبهم ، والدفاع عن آرائهم^(٢١) ، بوجه خصومهم من المذاهب الأخرى .

- المناظرات في العصر العباسي:
بلغت المناظرات ذروتها في العصر العباسي ، العصر الذي شهد حرية الرأي والفكر والاعتقاد ، والعلم والثقافة ، فكثر مجالس العلم ، وتعددت حلقاته ، واتخذت لها

أماكن مختلفة ((فمنها ما يجري في المساجد كالمسجد الأقصى ومسجد الكوفة والبصرة ، ومنها ما يجري في دور الخلفاء والأمراء ، فضلا عن الأسواق العامة كالمربد في البصرة والكناسة في الكوفة والعقيق في المدينة))^(٢٢) ، وغيرها من الأماكن التي يتبارى فيها المتناظرون ، ويتناقش بين جناباتها الفقهاء والمفكرون على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم ، يتجادبون أطراف الحوار في الموضوعات الدينية والعلمية والأدبية ، فيتفقون حيناً ويختلفون أحيانا كثيرة ، ويدلي كل واحد منهم بدلوه ، ويعرض آراءه دون خوف أو وجل ، ولاسيما بعد تولي المأمون الخلافة ، فعلى يديه اتسعت أبواب المناقشات والمناظرات بين أصحاب المذاهب المختلفة ، وتناولت مسائل خطيرة من الدين مثل مسألة خلق القرآن^(٢٣) ، فكانوا يتناظرون ويتجادلون ، ويدافع كل واحد عن معتقده بحرية ودون حرج .

وقد كان لاتساع حركة الترجمة أثر كبير في انتشار المناظرات في هذا

وينهزمون تارة أخرى ، في تلك المساحة الفكرية الكبيرة ، وهم لا يكلون ولا يملون ، ولا يتوقفون عن المناظرة^(٢٧) .

- المناظرات عند المعتزلة :

مما لا شك فيه أن للمعتزلة أثرا كبيرا ومهما في إرساء أسس المناظرة ، وتثبيت قواعدها وأصولها ، فقد كانوا من ((أول الفرق الإسلامية التي اطلعت على الفلسفة اليونانية ، واستطاعت الاستفادة منها في إثبات نظرياتها الدينية ومعاركها الكلامية))^(٢٨) ، مع الفرق الدينية المختلفة .

وكان من الطبيعي أن يتدارس المعتزلة الفلسفة ، فهم الذين عاصروا حركة الترجمة العظمى ، وكان لهم حضور متميز أيام المنصور والمأمون ، فبرزت آثار تلك الفلسفة عند كبار رجالاتهم وفطاحلهم ، أمثال أبو الهذيل العلاف (ت ٢٣٠هـ) ، وإبراهيم النظام (ت) وغيرهم^(٢٩) ، ممن شهر بقوة الجدل والمحاورة ، والقدرة على الإقناع وإفحام الخصوم .

العصر ، ويعد عصر المأمون العصر الذهبي بالنسبة إلى هذه الحركة ؛ إذ شجع على نقل الكتب الفلسفية إلى اللغة العربية ، واستدعى المترجمين من جميع الأقطار ، وأفاض عليهم بالأموال^(٢٤) .

كما ترجمت العلوم المختلفة من تراث الأمم الأخرى كالفارسية والفارسية واليونانية ، على أن تأثرهم بالتراث اليوناني كان أكثر من سواه^(٢٥) ، ولا سيما الفلسفة والمنطق ، اللذين كان لهما التأثير الأشد والأعمق في العقلية العربية ، تأثير ظهرت نتائجه بشكل ملحوظ من خلال بروز الجدل ، والأشكال المنطقية الأخرى التي وظفها المسلمون للدفاع عن آرائهم ، وقضاياهم الدينية^(٢٦) ، بوجه خصوصهم ومناظريهم من الديانات الأخرى .

لقد أظهرت المناظرات التطور والنضوج الفكري الذي وصل إليه العقل العربي في تلك الحقبة ، حتى غدت المناظرة لغة العصر الفكرية ؛ إذ نراها منتشرة في كل مكان ، وفي كل موضوع ، والمناظرون ينتصرون تارة

أن تقوم عليه آداب البحث والمناظرة ،
من أسس ومبادئ^(٣٣) .

وهكذا كان للمعتزلة أدب
خاص بهم ، أدب قد اصطبغ بصبغة
الحياة التي عاشوها ، وهم في كفاح
مستمر ، لنصرة العقل ونشر المبادئ
التي اعتنقوها ، فكان ذلك الأدب
نتاجا لبيئتهم الفكرية الخاصة ، وما
تردد فيها من ألوان الجدل ، وفنون
المناقشة والمحاورة حول قضاياهم
الدينية ، التي نضجت على أيديهم
بقوة الحجة ، وبراعة الدليل^(٣٤) .

- المناظرات عند الجاحظ :

من المعروف أن الحياة الفكرية
لأي أديب هي نتاج تفاعل هذا
الأديب مع البيئة التي يعيش فيها ،
ويتأثر بظروفها المختلفة ، وهكذا فإن
البيئة الفكرية للجاحظ قد تأتت له من
نشوئه في العصر العباسي ، العصر
الذي ازدهرت فيه الحركة العلمية
والفكرية ، فضلا عن نشأته في بيئة
عقلية تعج بالمناقشات والمجادلات^(٣٥)
، والبحث والتنقيب ، ألا وهي بيئة
البصرة ، تلك البيئة التي تأثر
بأجوائها ، وما ساد فيها من منحى

لقد كان لثقافة المعتزلة الواسعة ،
وبيئتهم التي كثر فيها الجدل والمناظرة ،
والجهد الكبير الذي قاموا به في سبيل
التوفيق بين العقل والنقل^(٣٦) ، والدفاع
عن القضايا الإسلامية بالدليل والمنطق
، أثر كبير في تأسيس بعض العلوم
العربية التي تتصل بمعاني الكلام
وأشكاله ، وترتيب أفكاره ،
كالبلاغة^(٣٧) ، والبحث والمناظرة .

فمن المعروف أن هذه العلوم قد
نشأت في بيئات المتكلمين ، وأنهم هم
الذين وضعوا أسسها ومبادئها ، فقد
روي أن متكلمين قد اجتمعا فقال
أحدهما لصاحبه : ((هل لك في
المناظرة ، فقال (الآخر) : على شرط
ألا تغضب ولا تعجب ، ولا تشغب ،
ولا تحكم ولا تقبل على غيري وأنا
أكلمك ، ولا تجعل الدعوى دليلا ،
ولا تجوز لنفسك تأويل آية على
مذهبك ، إلا إذا جوزت لي تأويل
مثلا على مذهبي ، ... ، وعلى أن
كلا منا يبني مناظرته على أن الحق
ضالته ، والرشد غايته))^(٣٨) ، فهي
كلمة جامعة قد تضمنت كل ما يمكن

فكري ، قد اصطبغت به معارفها العامة ، فقد تميزت البصرة بشيوع النزعة العقلية فيها ، وسريانها في مختلف ميادينها^(٣٦) ، فكان أن تأثر بها الجاحظ بشكل كبير ، وانسربت إلى تفكيره معالم تلك النزعة ، فراح يوظفها في أعماله الأدبية ، ويبرزها في كتاباته النثرية .

كذلك فإن الجاحظ قد تربى على يد شيوخ المعتزلة ، الذين كانوا يقدمون العقل^(٣٧) ، ويطلقون له العنان للبحث في كل شيء ، فتخرج لسنا جدلا ، يعرف كيف يحاور وينظر ، ويحاجج خصومه وأعداءه ، حتى أصبح أحد أئمة المعتزلة ، وزعيم فرقة من فرقها عرفت بالجاحظية^(٣٨) ، فكان أن استعمل مواهبه وفطنته ، وما حباه به الله من فصاحة الكلام ، وطلاقة اللسان ، وحسن البيان ، في ترويج مذهبه ، والدعاية له^(٣٩) .

وتأثر الجاحظ بالفلسفة اليونانية ، وتفاعل معها ، وتأثر بأفكارها^(٤٠) ، ولاسيما أرسطو ، فبرزت هذه الآثار في كتبه ومؤلفاته ، تاركة بصماتها على

مناظراته التي حظيت بعنايته واهتمامه ، حتى أخذت معظم مؤلفاته الأدبية والعلمية تقوم على هذا الفن الأدبي ، على نحو ما هو معروف في كتاب الحيوان من مناظرة صاحب الكلب وصاحب الديك^(٤١) ، وكذلك بعض رسائله مثل (فخر السودان على البيضان) و (مفاخرة الجواري والغلمان) و (ذم الكتاب ومدحهم) وغيرها^(٤٢) ، التي حاول بوساطتها بسط أفكاره ، والتوسع في عرضها ومناقشتها .

ولعل مناظراته في كتاب البخلاء ، من تلك المناظرات التي حاول من خلالها إيضاح واقع الحياة في عصره ، ورصد بخل بعض شخصيات ذلك العصر ، والكشف عن مخبوء نفوسهم ، التي ترفض الإقرار بالبخل ، وتدعي الكرم ، فضلا عن أن تلك المناظرات - فيما يبدو - كانت تحمل رسالة تنطوي على مغزى أراد الجاحظ إبرازه ، وهو مغزى أخلاقي واجتماعي ، يهدف إلى ذم البخل وتركه ، والعودة إلى الكرم والقيم العربية الأصيلة .

لقد اتبع الجاحظ في مناظراته أساليب متنوعة منها :

١- أسلوب الحوار :

يأتي أسلوب الحوار في مقدمة الأساليب التي اعتمدها الجاحظ^(٤٣)، فهو الأساس الذي قامت عليه المناظرة ، من هنا نراه يعتمد إلى محاوره أحد البخلاء وهو (محمد بن أبي المؤمل) ، الذي يحاول أن يخفي بخله وراء ستار كاذب من الجود والكرم ، فكان يعمل الطعام ويدعو الأصدقاء ، لكنه يبخل بشيء بسيط وهو الخبز ، فيحاوره الجاحظ في طريقة تقديمه الطعام ، وما يضع على مائدته من خبز قليل ، لا يكفي المدعويين إليه ، ولا سيما أن الخبز القليل دليل على البخل والشح ، فيقول الجاحظ : ((أراك تطعم الطعام وتتخذ ، وتنفق المال وتجود به ، وليس بين قلة الخبز وكثرته كثير ربح ، والناس يخلون من قل عدد خبزه ، ورأوا أرض خوانه ، وعلى أنني أرى جماجم من يأكل معك أكثر من عدد خبزك))^(٤٤) .

فيجيب البخيل مدافعا عن نفسه ، مقدما تسويغات وحجج تسند وجهة

نظره ، وتدعم رأيه الذي يذهب إليه ، وهو أن قلة الخبز ليس مظهرا من مظاهر البخل كما ذهب إلى ذلك الجاحظ ، بل هو دليل سخاء وكرم ، أي أن صفة البخل المتأصلة في نفسه ، والمسيطرة على مشاعره وأفكاره ، قد حثته على الإجابة بما يدفع عنه تهمة البخل والحرص ، فيقول : ((بل الذي أصنع أدل على سخاء النفس بالمأكول))^(٤٥) .

فمن الواضح أن (محمد بن أبي المؤمل) يبخل بخبزه ، ولكنه يحاول أن يغطي هذا البخل ، من خلال ادعائه الكرم ، والتظاهر به ، مبينا أن كثرة الخبز تورث الصدود في نفوس ضيوفه ، وهو ما لا يرغب فيه ؛ إذ أنه يسعى إلى جعلهم يبالغون في الأكل ، بدافع كرمه ، فيقول : ((لأن الخبز إذا كثر على الموائد ورث ذلك النفس صدودا ؛ ولأن كل شيء من المأكول إذا ملأ العين ملأ الصدر ، وفي ذلك موت الشهوة ، وتسكين الحركة))^(٤٦) .

ثم يأتي بمثال يحاول من خلاله تأكيد صحة كلامه هذا ، قائلا : فلو ((أن رجلا جلس على بيدر تمر فائق ،

وعلى كدس كمثرى منعوت ، وعلى
مائة قنو موز موصوف ، لم يكن أكله
إلا قدر استطرافه ، ولم يكن أكله إلا
على قدر أكله ، إذا أتى بذلك في طبق
نظيف ، مع خادم نظيف ، عليه منديل
نظيف))^(٤٧) .

ويبدو أن (محمد بن أبي المؤمل)
لم يكتفِ بذلك ، بل أراد أن يستمر
في إيراد حججه والدفاع عن فعله ؛
ليظهر للجاحظ مقدار خطئه ، قائلا :
((يا أبا عثمان ، أنت تخطئ ، وخطأ
العاقل أبدا يكون عظيما))^(٤٨) ،
فضلا عن عدم دقة حكمه عليه ،))
وبعد فأصحابنا آنسون ، واثقون
مسترسلون ، يعلمون أن الطعام لهم
اتخذ ، وأن أكلهم له أوفق من تمزيق
الخدم والأتباع له ، ولو احتاجوا
لدعوا به (الخبز) ولم يحتشموا منه ،
ولكان الأقل منهم أن يجربوا ذلك
المرّة والمرتين ، وألا يقضوا علينا
بالبخل دون أن يروه))^(٤٩) ، فهو يريد
أن يتخلص من تهمة الجاحظ ، فيسوغ
موقفه ، بأن احتياج أصحابه للخبز
يجعلهم يطالبون به ، ولاسيما أن
الطعام قد أعد لهم أصلا .

ولكن الجاحظ - كما يبدو - لم
يقنع بكلام صاحبه ، وشكك في
مصادقته^(٥٠) ؛ لأنه يتفهم حقيقته ،
ويدرك بواطن نفسه ، وسواه من
البخلاء الذين أصبح البخل لديهم
مبدأ يتخذونه ، ومنهجاً يسيرون عليه ،
ويحتجون له ، فقد كان هؤلاء البخلاء
عموما أصحاب منطق وجدل ،
يدافعون عن مذهبهم في البخل ، كما
يدافع المتكلمون عن عقيدتهم ،
ويجادلون من يعيب عليهم
تقديرهم^(٥١) ، ويسوقون الحجج
والبراهين التي تسند رأيهم ، وتدعم
كلامهم ، وقد أشار الجاحظ إلى
صفتهم تلك في مقدمة كتابه قائلا : ((
ولم سموا البخل صلاحا ، والشح
اقتصادا ، ولم حاموا على المنع ،
ونسبوه إلى الحزم ، ... ، ولم جعلوا
الجود سرفا ، والأثرة جهلا ، ... ، ولم
احتجوا مع شدة عقولهم بما أجمعت
الأمّة على تقييده))^(٥٢) ، أي أنه كان
مدركا لإمكاناتهم العقلية ، وقدراتهم
الاحتجاجية .

ومن ثم لم يكن أمامه من بدّ
سوى الاستمرار في مناظرة صاحبه

ومشاركتهم الطعام من جهة أخرى^(٥٤) ، وهو أمر يكاد يكون مستحيلا ؛ لأن دعوة الأصدقاء تستلزم بالضرورة مسامرتهم والإنفاق عليهم .

وهنا يبدو أن طبع البخل الذي يسيطر على (محمد بن أبي المؤمل) ، ويهيمن على مشاعره وأفكاره ، ويسيره على وفق رغبته ، قد غلبه ، ولم يستطع كتمانها ، فما كان منه سوى الإقرار بحقيقة تفكيره ، والبوح بمكنون نفسه من البخل بالخبز ، والحرص على عدم بذل الكثير منه على أصحابه ، فيقول: ((فإن الخبز إذا كثر على الخوان ، فالفاضل مما يأكلون لا يسلم من التلطيخ والتغمير ، والجردة الغمرة ، والرقاقة المتلطيخة ، لا أقدر أن أنظر إليها ، وأستحيي أيضا من إعادتها ، فيذهب ذلك الفضل باطلا ، والله لا يحب الباطل))^(٥٥) .

وهكذا استطاع الجاحظ من خلال محاورة (محمد بن أبي المؤمل) ومناظرته ، أن يفند حججه وآراءه ، ويكشف خبايا نفسه ، ويرغمه على الإقرار ببخله وحرصه على الخبز ، وأن طريقة تقديمه له إنما كانت

ومحاورته ، أملا في أن يزل لسانه ، وتتكشف حقيقة أمره ، فيقول له : ((إنني قد رأيت أكلهم في منازلهم ، وعند إخوانهم ،... ، ورأيت أكلهم عندك ، فرأيت شيئا متفاوتا ، وامرأ متفاقما ، فأحسب أن البخل عليهم غالب ، وأن الضعف لهم شامل ، وأن سوء الظن يسرع إليهم خاصة ، ثم لا تداوي هذا الأمر بما لا مؤنة فيه ؟ وبالشيء الذي لا قدر له ؟ أو تدع دعاءهم ، والإرسال إليهم ، والحرص على إجابته))^(٥٦) ، وهنا يفهم (محمد بن أبي المؤمل) فقد وضعه الجاحظ في موقف صعب ، لا نجاة منه ، فإذا أن يعالج الأمر بالإكثار من الخبز ، وهو ما تأباه نفسه الشحيحة ، أو يترك دعوة الأصدقاء ومراسلتهم ، والحرص الشديد على منادمتهم ، وهو ما يرغب فيه ، ويأنس به .

وكأن الجاحظ بقوله هذا قد سلط الضوء على الصراع النفسي الذي يعيشه صاحبه ، صراع بين البخل وشهوة الإنفاق ، يبرز في حرصه على الأصحاب والمنادمة من جهة ، والرغبة في عدم الإنفاق عليهم

الأدب له أهمية كبيرة في رصد الواقع الاجتماعي ونقده .

لقد كان الجاحظ معنيا بنقل ما يدور في مجتمعه كما يشاهده ويلاحظه، مصورا أخلاق الناس وعاداتهم وتقاليدهم وصفاتهم ، بأسلوب ساخر هدفه إبراز العيوب ، ومن ثم محاولة علاجها^(٥٧) .

ففي مناظرة تجري بين (الكندي) وهو أحد بخلاء الجاحظ ، و (معبد) وهو شخص قد اكرت دارا للكندي ونزل فيها، نلمس التصوير الساخر الذي يعرضه الجاحظ على لسان الكندي.

أما سبب تلك المناظرة فهو مجيء ضيوف إلى معبد - وهو ابن عم له ومعه ابنه - ونزولهم معه في الدار، وطول مكوثهما عنده ، مما حدا بالكندي على طلب زيادة في الإيجار، فكتب معبد إلى الكندي رسالة يسأله فيها عن الأسباب الموجبة لتلك الزيادة ، قائلا : ((وما يضرك من مقامهما ، وثقل أبدانهما على الأرض التي تحمل الجبال ، وثقل مؤنتهما علي

تتناسب مع بخله ، وتخدم شح نفسه ، وليس رغبة منه في كثرة الأكل والمبالغة في الطعام والكرم ، كما كان يدعي .

٢- أسلوب التصوير الساخر:

وقد يلجأ الجاحظ إلى التصوير الساخر في إدارة مناظرته ، من خلال تصوير العيوب والأخطاء التي تصدر عن البخلاء، وتسليط الضوء على السلوك والأفكار والمشاعر المتباينة التي تتاب البخل ، والتنبيه إلى مساوئ البخل، وآثار هذه الظاهرة في حياة أصحابها عموما، وحياة المجتمع الذي يتمون إليه خصوصا .

والسخرية صفة قد لازمت أعمال الجاحظ بمجملها ، والمتصفح لآثاره يلمح ذلك بوضوح، على أن سخريته لم تكن لاذعة مستهجنة ، وإنما كانت لطيفة مستطرفة ((فيها راحة نفسية له ولقرائه على اختلاف مشاربهم ، وتباين مستويات ثقافتهم، ومنازلهم الاجتماعية، وهي تعكس فيما تعكسه موقفه من قضايا مجتمعه الأساسية))^(٥٦) على اختلافها، ومحاولة إبرازها، ورصد مواطن الخلل فيها ، أملا في التأثير في المجتمع؛ ليقينه من أن

دونك؟ فاكذب إليّ بعذرِكَ لأعرفه ((٥٨)).

فكتب إليه الكندي قائلا : إن ((
الخصال التي تدعو إلى ذلك كثيرة،
وهي قائمة معروفة، من ذلك سرعة
امتلاء البالوعة، وما في تنقيتها من
شدة المؤنة، ومن ذلك أن الأقدام إذا
كثرت، كثر المشي على ظهور السطوح
المطينة ، وعلى أرض البيوت
المحصصة، والصعود على الدرج
الكثيرة، فينقشِر لذلك الطين، ويتقلع
الخص ، وينكسر العتب، مع انثناء
الأجزاء ، لكثرة الوطء ، وتكسرها
لفرط الثقل)) (٥٩).

فالملاحظ أن الكندي راح يبحث
ويستقصي ، ويجمع أكبر قدر ممكن من
الشواهد والأدلة والحقائق ، التي
تؤيد مطالبته بزيادة السعر، وتقوي
رأيه وتدعمه، وتسوغ له فعله ، ومن
ثم إقناع معبد بها، وترسيخها في
ذهنه، بوصفها احتمالات قائمة ،
يمكن أن تضر بأجزاء الدار، مع زيادة
عدد ساكنيها ، الذي يستوجب زيادة
استعمال أجزائها .

ولا يكتفي الكندي بذلك ، بل
أخذ يسهب في سرد حججه ، التي من
شأنها أن تتيح له الظفر بخصمه ،
والنيل منه، فيقول: ((وإذا كثر
الدخول والخروج، والفتح والإغلاق،
والإقفال وجذب الأقفال، تهشمت
الأبواب، وتقلعت الرزات)) (٦٠).

هذه الأدلة إنما تظهر بخل الكندي
وطمعه في الوقت نفسه ، وحرصه
الشديد على مراقبة داره، ومن يدخل
إليها، وتتبع حركات ساكنيها، وما قد
يأتون به من أفعال، قد تضر الدار.
كما يتصور - وتهدهدها، من هنا فإنه
لم يقف عند حدود سطح الدار
وأرضها وأبوابها، وإنما أخذ يورد
الحجج التي تظهر أن زيادة عدد
الساكنين قد يضر بجدران داره
ويضعفها ، قائلا : ((فكم من حائط
قد تأكل أسفله، وتناثر أعلاه،
واسترخى أساسه، وتداعى بنيانه، من
قطر حب، ورشح جر، ومن فضل
ماء البئر، ومن سوء التدبير)) (٦١).

كل ذلك وغيرها من أدلة كثيرة
وطويلة ، ساقها بتفصيل
وتوضيح (٦٢)، تشي بأن نفسه

الشحيحة، وحساباته الدقيقة ، قد أخذت تتجاوز إطار الحاضر والواقع المعيش ، لتنتظر إلى المستقبل، وما يمكن أن يقع لداره، وما يمكن أن تؤول إليه حالها، نتيجة زيادة عدد الساكنين ، فعمرها يتناقص، وانهدامها يصبح وشيكاً، وهو ما عبر عنه بقوله : ((ولانهدام المنازل غاية قريبة، ومدة قصيرة، والساكن فيها هو كان المتمتع بها، والمتنفع بمراقبتها، وهو الذي أبلى جدتها وتحلاها، وبه هرمت وذهب عمرها، لسوء تدبيره))^(٦٣).

إن هذه الأسباب والاحتمالات مجتمعة ، هي التي دفعته إلى المطالبة بزيادة الإيجار، من هنا وجدناه يختم رسالته بقوله : ((وقد أريناكم أن حكم النازلين كحكم المقيمين، وأن كل زيادة فلها نصيب من الغلة))^(٦٤).

وهكذا استطاع الجاحظ من خلال إدارته لهذه المناظرة ، أن يكشف عن السلوك الأخلاقي للكندي ، المتمثل بشح نفسه، والحرص الشديد على أملاكه (داره) ، فضلاً عن تصويره لهذه الدار، وما قد يحدث فيها بسبب

نزول ضيفين على أهلها ، بطريقة تشير السخرية والضحك ، وتبرز الحال النفسية التي يعيشها الكندي ((وهي شعوره الدائم بأن المصاعب والكوارث تتهدده ،...، والآفات قريبة وشيكة الانقضاء على ماله))^(٦٥)، الذي يجد في جمعه ، ويحرص الحرص كله على مراقبته ، والحفاظ عليه .

ولا عجب في ذلك فقد كان الجاحظ مطبوعاً على حب التهكم واصطناع الفكاهة ((فقد رزق حس اكتشاف الجوانب المضحكة في طبائع الناس))^(٦٦)، والبراعة في نقلها وتصويرها ونقدها .

ولعل مناظرته مع (الحزامي) مثال آخر على ذلك ، فقد كان الحزامي أحد أنصار البخل ومفضليه، وممن يحتجون له، ويدعون إليه، وسبب مناظرته مع الجاحظ ، أنه قد رآه يوماً مرتدياً كساء صوفياً خفيفاً في بدايات البرد ، وقبل اشتداده، فأنكر عليه فعله، متهما إياه بالإسراف والجهل ؛ لارتدائه هذا الكساء قبل أوانه، قائلاً: ((ما أقبح السرف

بالعقل ، وأسمح الجاهل بالحكيم ، ما ظننت أن إهمال النفس وسوء السياسة بلغ بك ما أرى))^(٦٧) .

فراح الجاحظ يسوغ فعله، ويدلي بحجته التي دعتة إلى ارتداء ذلك الكساء، قائلا: ((قد حدث من البرد بمقداره، ولو كان هذا البرد الحادث في تموز وآب لكان إباناً لهذا الكساء))^(٦٨) ، ويبدو أن ما جاء به الجاحظ لم يكن كافياً لإقناع خصمه ، الذي أصبحت أفعاله و أقواله صدى لصوت البخل الذي سكنه ، وتأصل فيه، حتى بدا له أن يقنع الآخرين به، ويحتمهم عليه ، فيقول للجاحظ : ((إن كان ذلك كذلك ، فاجعل بدل هذه المبطنة جبة محشوة، فإنها تقوم هذا المقام، وتكون قد خرجت من الخطأ ، فإما لبس الصوف اليوم ،فهو اليوم غير جائز))^(٦٩) ، فكلامه هذا إنما ((يعبر عن ميزة يمتاز بها البخل، وهي قدرته على المقارنة والموازنة بين الأشياء، وتحسس الفوارق والفوارق بينها))^(٧٠) ، والعمل على وفق ذلك ، فشدة بخل (الحزامي) تدفعه إلى أن يحسب لكل شيء

حسابه، ويعد لكل شيء عدته، ويحرص على الاستعمال الأمثل للأشياء، ف (الجبة المحشوة) لديه أفضل وأنسب للاستعمال مع بداية البرد من (كساء الصوف)، وله ما يسوغ ذلك، فنراه يقول: ((لأن غبار الصيف يتداخله، ويسكن في خلله، فإذا أمطر الناس وندي الهواء، وابتل كل شيء، ابتل ذلك الغبار. وإنما الغبار تراب، إلا أنه لباب التراب، وهو ملح، ويتقبض عند ذلك عليه الكساء ويتكشش ؛ لأنه صوف، فينضم أجزاؤه عليه، فيأكله أكل القادح، ويعمل فيه عمل السوس، ولهو أسرع فيه من الأرضة في الجذوع النجرانية، ولكن آخر لبسه حتى إذا أمطر الناس، وسكن الغبار، وتلبد التراب، وحط المطر ما كان في الهواء من الغبار، وغسله وصفاه ، فالبسه حيثئذ على بركة الله))^(٧١) .

فعن طريق هذه المناظرة تبرز مقدرة الجاحظ التصويرية الساخرة، وروحه التهكمية البارعة، من خلال عرض حجج (الحزامي) وذرائعه، وأسلوب بخله، وطريقته فيه، بهدف

المعاني المتناقضة، والحالات المتباينة ،
ثم يبرهن عليها جميعا، فتراه يعرض
صورة ما، ويأخذ في الاحتجاج لها،
والبرهنة عليها، فيخيل للقارئ أنه لا
يقبل سواها، ولا يقنع إلا بها، حتى
إذا ما استيقن أن القارئ قد آمن
بمنطقه، وسلم لقوة برهانه، تراه
يعرض صورة أخرى مناقضة لتلك
الصورة ، ويحتج لها ، ويدافع عن
صدقها^(٧٤) .

ويمكن أن نتلمس هذا الأسلوب
في المناظرة التي جرت بين أحد
البخلاء وهو (تمام بن جعفر)
وأصحابه ، فقد كان (تمام بن جعفر)
يجعل كثرة الطعام علة للشيء ونقيضه
في الوقت نفسه ، وسببا في حدوث
الظاهرة وضدها، وما ذاك إلا رغبة
منه في الوصول إلى هدفه من المناظرة،
وهو الدعوة إلى قلة الطعام ، وعدم
الإسراف بالأكل، والمبالغة فيه، فما
شكا أحد أصحابه شيئا، حتى علل
ذلك بكثرة الأكل والنهم، والشره في
الطعام، فإذا قال له صديق: ((ما في
الأرض أحد أمشي مني، ولا على
ظهرها أحد أقوى على الحضر مني ،

التنبه إلى عيوب هذا البخيل ،
والالتفات إلى نقائصه ، ومن ثم حثه
على تلمس مواطن الصواب،
والوصول إلى الكمال^(٧٢) ، إذ لم تكن
غاية الجاحظ التهكم بالبخلاء
والسخرية منهم لمجرد التهكم
والسخرية، وإنما كانت له أبعاد أخرى
، فقد أراد من وراء ذلك فضح صفة
البخل، وإبراز مدى بشاعتها، وشدة
تأثيرها في النفوس ، وأضرارها في
المجتمع، ولاسيما بعد أن أصبح لها
مريدون يدافعون عنها ، ويشجعون
الناس على انتهاجها .

٣- أسلوب الكلام في الشيء وضده :
كما يلجأ الجاحظ في إدارة
مناظرته إلى أسلوب آخر هو الكلام
في الشيء وضده، أو إثبات الشيء
ونقيضه في الوقت نفسه ، ((أي أن
المتناظر يجادل ويبحث في طرفي
النقيض، ووجهي الحقيقة، فيناقشهما،
ويدافع عنهما جميعا بحسب الظروف
، فيحتج لرأي أو لنقيضه على السواء
))^(٧٣) .

وهو أسلوب قد افتن به الجاحظ
افتنانا عظيما، فكان يورد في كلامه

قال: وما يمنعك من ذلك، وأنت تأكل أكل عشرة؟ وهل يحمل الرجل إلا البطن ((^(٧٥)، فإن قال له الصديق نفسه: ((لا والله إن أقدر أن أمشي لأنني أضعف الخلق عنه، واني لأنبهر من مشي ثلاثين خطوة، قال له (تمام بن جعفر): ((وكيف تمشي وقد جعلت في بطنك ما يحمله عشرون حمالا، وهل ينطلق الناس إلا مع خفة الأكل؟ وأي بطين يقدر على الحركة))^(٧٦).

فمن الواضح أن انحصار تفكير (تمام بن جعفر) في مجال واحد هو الطعام، بوصفه أحد لوازم البخل ومتطلباته، جعله يسخر مقدرته الاحتجاجية لخدمته، والدعوة إليه، ومن ثم يفحم صاحبه بقوة منطقته، وحسن نسجه لأدلته.

وتستمر هذه المناظرة على المنوال نفسه، فإن شكا صاحبه ضرسه، وعدم نومه بسبب آلامه، قال له: (عجبت كيف اشتكيت واحدا، وكيف لم تشتك الجميع، وكيف بقيت في فيك حاكّة، وأي ضرر يقوى على الدرس والطحن،...، ولقد استبطأت

لك هذه العلة، أرفق فإن الرفق يمن، ولا تحرق بنفسك، فإن الحرق شؤم ((^(٧٧)، وإن قال له: ((لا والله إن اشتكيت ضرسا لي قط، ولا تجلجل لي سن عن موضعه منذ عرفت نفسي، قال (تمام بن جعفر): ((يا مجنون، لأن كثرة المضغ تشد العمور، وتقوي الأسنان، وتدبغ اللثة، وتغدو أصولها،...، وكما أن الإنسان نفسه إذا تحرك وعمل قوي، وإذا طال سكونه تفتخ واسترخى، فكذلك الأضراس))^(٧٨).

إن هذه الحقائق والبراهين التي جاء بها (تمام بن جعفر) تظهر مدى تحريه الأمور، والتدقيق فيها، والانتقال بهذه الحقائق من الإجمال إلى التفصيل في جزئياتها؛ لترسخ تلك الحقائق في ذهن صاحبه، وتغدو لديه من المسلمات التي لا يمكن نكرانها، أو الطعن بصحتها، ومن ثم الاقتناع بها. وتطول هذه المناظرة للحديث عن الشيء وضده، فكثرة شرب الماء أو الإقلال منه، وكثرة النوم أو السهر، وعدم الرغبة في الأكل^(٧٩)، كلها أسباب وعلل أرجعها (تمام بن

الاجتماعي ، وتسليط الضوء على أساليب البخلاء وطرقهم في البخل ، والكشف عن بشاعة تلك الصفة ، بعد أن أصبحت طبعاً ومذهباً له أتباعه ومريدوه ، الذين يحتجون له ، ويدافعون عنه ، ويشجعون عليه ، ولا همّ لهم سوى جمع المال وتكديسه ، والحرص على عدم إنفاقه .

فأراد الجاحظ بوساطة هذه المناظرات - بأساليبها المختلفة - التعريض بهؤلاء البخلاء ، وتنبية المجتمع إلى خطرهم ، أملاً في تغيير سلوك ذلك المجتمع ، والعودة به إلى قيمه الأصيلة ، من كرم وعطاء ، وحسن ضيافة .

فضلاً عن أن الجاحظ قد أضاف إلى المناظرات كثيراً من الأساليب والخصائص ، وأسبغ عليها مسحة من عقلية وعبقريته الفذة ، حتى أصبحت المناظرة على يديه فناً أدبياً له سماته وأساليبه التعبيرية الخاصة .

جعفر) إلى سبب واحد رئيس هو كثرة الأكل ، والإفراط فيه .

ويبدو أن البخل والحرص الكامن في نفس (تمام بن جعفر) هو الذي دفعه إلى مناظرة أصحابه ، وبسط حججه ، والإدلاء ببراهينه التي حاول بوساطتها دعم رأيه ، وإسناد مذهبه في البخل ، والدعوة إلى التقتير في الطعام ، وعدم الإكثار منه .

وهكذا استطاع الجاحظ أن يدير هذه المناظرة ، ويعرض علينا الشيء ونقيضه على لسان (تمام بن جعفر) ويتفنن في أسلوب عرضه .

وخلاصة القول :

إن كتاب البخلاء يعد شاهداً على انتشار ظاهرة البخل والبخلاء في عصر الجاحظ ، واضطراب قيم المجتمع الأصيلة ، وانحرافها عن مسارها الذي توارثته عن الآباء والأجداد .

فكانت المناظرات إحدى الوسائل التي اعتمدها الجاحظ لرصد الواقع

Abstract:

AL-Bukhala is a proof of the phenomenon of greed which was common during AL – Jahidh`s time, it also indicates the disturbance in the genuine society values and how it changed its track which was inherited from the ancestors.

There for debates were one of the methods which AL – Jahidh adopted to the depict the social reality and to direct the attention towards the behavior of economical people and their ways revealing their awful nature after being a doctrine followed by many people who defend it and encourage others to follow .

AL –Jahidh wanted through these debates to alert the society and to reveal their dangerous effect to change the societies behaviors and to gain back the old values as generosity and hostility .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي ، محمود مصطفى ، دار الروائع للنشر والتوزيع - القاهرة، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .
- أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، عبد الحكيم بليغ ، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٨٧م .
- إرهاصات نظرية التلقي في أدب الجاحظ ، سميرة سلامي، مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب - دمشق، العدد ١٠٦، السنة ٢٧، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لصول الأساليب الأدبية ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٥٢م .
- أعلام في النثر العباسي ، د. حسين الحاج حسن ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- أمراء البيان ، محمد كرد علي ، دار الأمانة - بيروت ، ١٩٦٩م .
- البخلاء ، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ) ، إشراف : محمد كايد، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
- تاج العروس من جواهر القاموس الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني ت ١٢٠٥هـ) ، منشورات دار الكتب ، مكتبة الحياة - بيروت (د. ت.) .
- الجاحظ حياته وآثاره ، طه الحاجري ، دار المعارف - مصر ، ١٩٦٢م .
- الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، د. شارل بلات ، ترجمة: د. إبراهيم الكيلاني ، دار اليقظة العربية ، دمشق - سورية ، ١٩٦١م .
- الجاحظ في حياته وأدبه وفكره ، جميل جبر ، دار الكتاب اللبناني - بيروت ، ١٩٧٤م .
- الجوانب السيكلوجية في أدب الجاحظ ، د. نوري جعفر، دار الرشيد للنشر - بغداد ، مؤسسة الرياضي للطباعة العامة - الكويت ، ١٩٨١م .
- الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، د. أحمد كمال زكي ، دار المعارف - مصر (د. ت.) .
- الحيوان ، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار الجيل - بيروت، دار الفكر ت دمشق، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- رسائل الجاحظ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- رسالة في آداب البحث والمناظرة وشرحها، طاش زاده (عصام الدين أحمد بن مصطفى ت ٩٦٨هـ)، تحقيق : حسين جودي كاظم ، مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي ،

- العراق - النجف ، دار الاعتصام ، ط١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
- الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ،
الجوهري (إسماعيل بن حماد ت ٣٩٣هـ) ،
(، حققه وضبطه : شهاب الدين أبو عمرو ،
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت -
لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٨٦م .
- صورة بخيل الجاحظ الفنية من خلال
الأسلوب في كتاب البخلاء ، أحمد بن
أمبريك ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق
عربية) ، بغداد ، ١٩٨٦م .
- صورة البصرة في بخلاء الجاحظ ، د. هاني
محمد ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق
عربية) ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠م .
- العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف ،
دار المعارف - مصر ، ط٦ ، ١٩٦٦م .
- العصر العباسي الثاني ، د. شوقي ضيف ،
دار المعارف - مصر ، ط٢ ، ١٩٧٣م .
- عصر المأمون ، د. أحمد فريد رفاعي ، دار
المعرفة - القاهرة ، ط١ ، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م .
- العين ، الفراهيدي (الخليل بن أحمد ت
١٧٠هـ) ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، د.
إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ،
بغداد ، ١٩٨٢م .
- فرق وطبقات المعتزلة ، الهمداني (عبد
الجبار بن أحمد) ، تحقيق : د. علي سامي
النشار ، عصام الدين محمد علي ، دار
المعرفة - القاهرة ، ١٩٧٢م .
- فن القصص في كتاب البخلاء للجاحظ ،
دراسة ونصوص مختارة ، محمد المبارك ، دار
الفكر - دمشق ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .
- الفن ومذاهبه في الشتر العربي ، د. شوقي
ضيف ، دار المعارف - مصر ، ط٤ ، ١٩٦٥م .
- فنية القصة في كتاب البخلاء للجاحظ ،
ضياء الصديقي ، مجلة عالم الفكر - الكويت
، العدد ٤ ، ١٩٩٠م .
- في الأدب العباسي ، د. علي الزبيدي ، دار
المعرفة - القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٩م .
- في الأدب العباسي الرؤية والفن ، د. عز
الدين إسماعيل ، دار النهضة العربية للطباعة
والنشر - بيروت ، ١٩٧٥م .
- الكتابة الفنية في شرق الدولة الإسلامية في
القرن الثالث الهجري ، د. حسني ناعسة ،
مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١ ، ١٣٩٨هـ -
١٩٧٨م .
- معجم الأدباء ، إرشاد الأريب إلى معرفة
الأديب ، الحموي (شهاب الدين ياقوت بن
عبد الله البغدادي ت ٦٢٦هـ) ، تحقيق : د.
إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ،
بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٩٣م .
- معجم المصطلحات الأدبية ، إبراهيم فتحي
، المؤسسة العامة للناشرين المتحدين ، مطبعة
التعاضدية العمالية - تونس ، ط١ ، ١٩٨٦م .
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب
، مجدي وهبة ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان -
لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤م .

- المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ، د. زكي نجيب محمود ، دار الفكر العربي - بيروت ، ط ٣ ، ١٩٧٨ م .
- الملل والنحل ، الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ) ، تقديم وتحقيق: د. أحمد حجازي السقا ، محمد رضوان مهنا ، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع - المنصورة ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية ، د. رحيم جبر الحسناوي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
- من حديث الشعر والنثر ، د. طه حسين ، دار المعارف - مصر ، ١٩٣٦ م .
- النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ، عبد الحكيم بليغ ، دار الرسالة - بيروت ، ١٩٥٥ م .
- النزعة العقلية في تفكير المعتزلة ، علي فهمي خشيم ، دار الفكر العربي - بيروت ، ١٩٦٧ م .
- النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ ، فيكتور شلحت ، دار المشرق - بيروت ، ط ٤ ، ٢٠٠٧ م .
- نزهة في كتاب البخلاء ، د. سام عمار ، مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب - دمشق ، العدد ٦١ ، السنة ١٦ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

هوامش البحث

- (١) معجم الأدباء: ٧٥ / ١٦ .
- (٢) النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ: ٧٥ .
- (٣) من أهم سمات نشر الجاحظ: الواقعية، والاستطراد، والتلوين العقلي، والتلوين الصوتي . ظ: الفن ومذاهبه في النشر العربي: ١٧٢ .
- (٤) ذهب بعض الباحثين إلى أن الجاحظ كان خالق الاتجاه الواقعي، وموجهه في النشر الفني، وأن زعماء المدرسة الواقعية في أوروبا، لم يصنعوا شيئاً أكثر مما صنعه الجاحظ . ظ: النشر الفني وأثر الجاحظ فيه: ٢٣٧-٢٣٨ .
- (٥) إرهاصات نظرية التلقي في أدب الجاحظ (بحث): ١ - ٢، و ظ: أمراء البيان: ٣٣٨/٢ .
- (٦) الجوانب السيكلوجية في أدب الجاحظ: ٧ - ٨ .
- (٧) ظ: من حديث الشعر والنثر: ٦٦ .
- (٨) ظ: فن القصص في كتاب البخلاء للجاحظ: ١٢ .
- (٩) برز في المجتمع العباسي عموماً والمجتمع البصري خصوصاً ثلاث طبقات اجتماعية: طبقة عليا وهم الأغنياء، وطبقة دنيا وهم الفقراء، وطبقة وسطى بينهما سلكت سبيل البخل والحرص على المال وكثره؛ كي تلحق بركب الأغنياء ولا تنحدر إلى ركب الفقراء، فالمال هو سبيل الحياة، وصوت المال هو الصوت الأعلى والمؤثر في النفوس . ظ: العصر العباسي الثاني: ٥٣، الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري: ٩٢، أعلام في النشر العباسي: ١١٩ .
- (١٠) نزعة في كتاب البخلاء (بحث): ٣، و ظ: الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء: ٣١٩ - ٣٢٠ .
- (١١) البخلاء: ١١ .
- (١٢) ذهب بعض الباحثين إلى أن لكتاب البخلاء قيمة اجتماعية، وتاريخية فكرية، وأدبية، فأما القيمة الاجتماعية، فتتمثل بعرض صورة حية لطبقة من المجتمع (التجار أو أصحاب العقارات أو الموظفين) حاولت بناء مجدها وشرفها بالاعتماد على المال دون سواء، وأما التاريخية الفكرية، فتتمثل بتصوير القيم الخلقية الجديدة لتلك الطبقة، ونشوء مثل أعلى لها يتمثل بالبخل والتقتير، وتزعزع

- (٢٢) الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي : ٢٩٩. وظ: العصر العباسي الأول : ١٠٠ - ١٠١، الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري : ٣٧ ، ٩٧ .
- (٢٣) ظ : أدب المعتزلة : ٢٢٥ .
- (٢٤) ظ : العصر العباسي الأول : ١١٣ - ١١٤ .
- (٢٥) ظ : م . ن : ١١٧ .
- (٢٦) ظ : أدب المعتزلة : ٩٣ - ٩٤ .
- (٢٧) ظ : العصر العباسي الثاني : ٥٣٥ - ٥٣٩ .
- (٢٨) في الأدب العباسي : ١٥٩ .
- (٢٩) ظ : النزعة العقلية في تفكير المعتزلة : ٣٩ .
- (٣٠) رفع المعتزلة من قدر العقل، وجعلوه عمادهم في امتحان الأشياء، فكثرت الجدل لديهم وبين بعضهم البعض، وبينهم وبين مخالفيهم، فقويت لديهم - نتيجة ذلك كله - الملكة النقدية . ظ : في الأدب العباسي الرؤية والفن : ٢٢٩ .
- (٣١) ظ : العصر العباسي الأول : ٤٦٤ ، في الأدب العباسي الرؤية والفن : ٢٣٢ .
- (٣٢) أدب المعتزلة : ١٦١. مما لاشك فيه أن الغرض الأساس من المناظرة هو إثبات الحق وبيان وجه
- القيم العربية الأصيلة، وأما الأدبية ، فتمثل في أن كتاب البخلاء يمكن أن يعد من الكتب المهمة التي تحدثت عن أدب الطبائع أو السجايا، من خلال تصوير إحدى الصفات الإنسانية ألا وهي البخل.
- ظ : فن القصص في كتاب البخلاء للجاحظ : ١٢ - ١٥ ، ٤٣ .
- (١٣) الجديد في الأدب العربي وتاريخه : ١٧٥ ، وظ: الجاحظ في حياته وأدبه وفكره : ٣٤ .
- (١٤) ظ: البخلاء : ١ / ١٨ .
- (١٥) ظ: العين : ٦ / ٦ ، الصحاح : ٣ / ١٠ ، تاج العروس : ٢١ / ١١ - ٢٦ ، مادة (نظر) .
- (١٦) ظ: الأسلوب : ٩١ - ٩٢ ، العصر العباسي الأول : ٤٦٣ ، الكتابة الفنية في شرق الدولة الإسلامية في القرن الثالث الهجري : ٢٩١ .
- (١٧) ظ : المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية : ١٣ - ١٤ .
- (١٨) الإسراء : ٨٥ ، وظ: الأعراف : ١٨٧ .
- (١٩) البقرة : ٢٣ ، وظ: الإسراء : ٨٨ .
- (٢٠) النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ : ١١٨ .
- (٢١) ظ : المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية : ١٨ .

- (٤٢) ظ : رسائل الجاحظ : ١ / ١٢٥ وما بعدها ، ٢ / ١٢٦ وما بعدها .
- (٤٣) يعني الحوار الحديث بين شخصين أو أكثر، في أي موضوع من الموضوعات، مع تبادل للآراء والأفكار، أو هو نوع أدبي تتجادل فيه الشخصيات في موضوع ما، تبرز فيه قدرة العقل وإبداعاته . ظ : معجم المصطلحات الأدبية : ١٤٨ ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ٣٤٠ .
- (٤٤) البخلاء : ١ / ١١٣ .
- (٤٥) م . ن : ١ / ١١٤ .
- (٤٦) م . ن : ١ / ١١٤ .
- (٤٧) م . ن : ١ / ١١٤ ، اليبدر : الكدس ، أو الكومة ، منعوت : موصوف بالحسن .
- (٤٨) م . ن : ١ / ١١٣ .
- (٤٩) م . ن : ١ / ١١٤ .
- (٥٠) اتخذ الجاحظ الشك منهجا في التفكير، ووسيلة للوصول إلى اليقين، فهو القائل: ((فاعرف مواضع الشك وحالاته الموجبة له، لتعرف مواضع اليقين والحالات الموجبة له)) . الحيوان : ٦ / ٣٥ ، و ظ : إرهابات نظرية التلقي في أدب الجاحظ (بحث) : ٢٥ .
- (٥١) ظ : فنية القصة في كتاب البخلاء للجاحظ : ١٧٥ .
- الصواب، ودحض الباطل وتفنيده ، بالحجة الصحيحة ، والمنطق الصائب . ظ : الأسلوب : ٩١ - ٩٢ ، رسالة في آداب البحث والمناظرة وشرحها : ٤٩ .
- (٣٣) لعل من أبرز آداب المناظرة : الاحتراز من الإيجاز في الكلام ، كما يحترز من الإطناب فيه ، فضلا عن عدم استعمال الألفاظ الغريبة ، أو الألفاظ المجملة ، وعدم الضحك أو رفع الصوت ، وغير ذلك . ظ : رسالة في آداب البحث والمناظرة وشرحها : ٦٢ - ٦٦ .
- (٣٤) ظ : أدب المعتزلة : ١٦٥ ، في الأدب العباسي الرؤية والفن : ٢٣٢ .
- (٣٥) ظ : الجاحظ حياته وآثاره : ٧٦ - ٧٧ .
- (٣٦) ظ : النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ : ٢٣ - ٢٤ ، ٢٨ .
- (٣٧) ظ : الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري : ٩٦ ، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري : ١٤٧ - ١٧٩ .
- (٣٨) ظ : الملل والنحل : ٦٤ .
- (٣٩) ظ : عصر المأمون : ٤٢٣ .
- (٤٠) ظ : فرق وطبقات المعتزلة : ٢٦١ .
- (٤١) ظ : الحيوان : ١ / ١٩٠ وما بعدها .

- ٥٢) البخلاء: ١ / ١٣ - ١٤ .
 ٥٣) م . ن : ١ / ١١٤ .
 ٥٤) ظ : صورة بخيل الجاحظ الفنية :
 ١٠٩ - ١١٠ .
 ٥٥) البخلاء: ١ / ١١٤ - ١١٥ ، التغمير :
 التلوث بدسم اللحم .
 ٥٦) الجوانب السيكلوجية في أدب
 الجاحظ : ٥٤ .
 ٥٧) ظ : صورة البصرة في بخلاء
 الجاحظ : ٢٤ ، ٤٣ .
 ٥٨) البخلاء: ١ / ٩٨ .
 ٥٩) م . ن : ١ / ٩٩ .
 ٦٠) م . ن : ١ / ٩٩ ، الرزة : الحديدة
 التي يدخل فيها القفل .
 ٦١) م . ن : ١ / ٩٩ .
 ٦٢) ظ : م . ن : ١ / ١٠٠ - ١٠٧ .
 ٦٣) م . ن : ١ / ١٠٢ .
 ٦٤) م . ن : ١ / ١٠٨ .
 ٦٥) صورة بخيل الجاحظ الفنية : ١٢٩ -
 ١٣٠ .
 ٦٦) الجاحظ في البصرة وبغداد
 وسامراء : ٣٧٢ .
 ٦٧) البخلاء: ١ / ٧٥ .
 ٦٨) م . ن : ١ / ٧٦ .
 ٦٩) م . ن : ١ / ٧٦ .
 ٧٠) صورة بخيل الجاحظ الفنية : ١٠٣ .
 ٧١) البخلاء: ١ / ٧٦ .
 ٧٢) ظ : النثر الفني وأثر الجاحظ فيه :
 ٢٦٧ .
 ٧٣) النزعة الكلامية في
 أسلوب الجاحظ : ١١٣ .
 ٧٤) ظ : أدب المعتزلة : ٢٢٩ .
 ٧٥) البخلاء: ٢ / ١٤١ .
 ٧٦) م . ن : ٢ / ١٤١ .
 ٧٧) م . ن : ٢ / ١٤١ ، حاكاة : سن،
 وجمعها حواك ؛ لأن الأسنان يحك
 بعضها بعضاً ، خرق بالشئ يخرق
 : جهله ، ولم يحسن القيام به .
 ٧٨) م . ن : ٢ / ١٤٢ ، تجلجل : تحرك ،
 العمور : جمع عمر ، اللحم الذي
 بين الأسنان ، تفتخ : استرخى
 ولان .
 ٧٩) م . ن : ٢ / ١٤٢ - ١٤٣ .